

دليل آبائي إلى الذكاء

من فيلوكاليا الآباء اليقظين

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

١. يُدعى الناس عمومًا أذكىء بسبب الاستخدام الخاطئ لهذه الكلمة. ليس الأذكىء هم الذين درسوا أقوال وكتابات الحكماء القدامى، بل هم من روحهم ذكية ويقدرّون على التمييز بين الخير والشر. فهُمْ يتجنّبون الشر الذي يضرّ الروح ويهتّمون بذكاءٍ بما هو صالح ويمارسونه وينفعون الروح شاكّرين الله العلي. هؤلاء هم وحدهم الذين يجب أن يُدعوا بشكل صحيح أذكىء.
٢. للإنسان الذكي حقًا اهتمام واحد من صميم قلبه وهو طاعة الله التقدير وإرضاءه. الشيء الوحيد الذي يعلمه لروحه هو الطريقة الفضلى لفعل الأشياء التي ترضي الله، شاكرًا له على عنايته الرحيمة في كل ما يحدث في حياته. لأنه من غير اللائق ألا نشكر الأطباء على علاج أجسامنا، حتى عندما يعطوننا علاجات مريرة وغير محببة، كذلك يكون عدم امتناننا لله على الأشياء التي تبدو لنا مؤلمة، ناتج عن عجزنا عن فهم أن كل شيء يحدث من خلال عنايته لمصلحتنا. في هذا الفهم وهذا الإيمان بالله يكمن خلاص النفس وسلامها.
٣. إن ضبط النفس والوداعة والعفة والثبات والصبر وما شابه ذلك من فضائل عظيمة، هي معطاة لنا من الله سلاحًا لمقاومة ومواجهة الضيقات التي نواجهها، ولمساعدتنا عند حدوثها. لذلك إذا درينا أنفسنا على استخدام هذه القوى وأبقيناها على استعداد دائم، فلن يكون ما قد يصيبنا صعبًا أو مؤلمًا أو مدمرًا أو لا يطاق، لأن الفضائل التي نمتلكها ستتغلب على الجميع. إن من ليست روحهم ذكية لا يفكرون في هذا أبدًا، لأنهم لا يؤمنون بأن كل شيء يحدث لخيرنا، حتى تتألق فضائلنا ويتوجنا الله بسببها.
٤. إذا كنت تعتبر الثروات والتمتع الكامل بها مجرد غرور وهمي قصير العمر، وإذا كنت تعلم أن الحياة الفاضلة التي ترضي الله أفضل من الغنى، فستتمسك بهذه القناعة وتحتفظ بها في ذاكرتك؛ عندها لن تتنهد أو تشكو أو تلوم أحداً، بل ستحمد الله على كل شيء عندما ترى أن رجالاً أسوأ منك يُمدحون على البلاغة أو سعة الاطلاع والثروة. إن الرغبة النهمّة في الغنى والملذات وحب الشهرة والمجد الباطل إلى جانب الجهل بالحقيقة هي أسوأ عواطف الروح.
٥. عندما يفحص الرجل الذكي نفسه يرى ما عليه فعله وما ينفعه، وما هو أقرب إلى روحه ويؤدي إلى الخلاص، وما هو غريب ويؤدي إلى الهلاك. وبهذه الطريقة يتجنب ما يضر الروح كشيء غريب عنها.

٦. بقدر ما يزداد اعتدال الإنسان في حياته تزداد سلامته فلا يكون مشحوناً بالاهتمامات الكثيرة من حَدم وعمال وأجراء واقتناء ماشية. ولكن عندما نتمسك بمثل هذه الأشياء، نصبح عرضة للاضطرابات الناشئة عنها وتقودنا إلى التذمر على الله. وهكذا، فإن رغبتنا الذاتية (بأشياء كثيرة) تملؤنا بالاضطراب فنروح نتجوّل في ظلمة الحياة الخاطئة دون أن نعرف أنفسنا.

٧. لا ينبغي أن نقول إنه يستحيل على الإنسان أن يعيش حياة فاضلة، مع أن هذا ليس سهلاً. في الواقع، تحقيقه ليس ممكناً للجميع على قدم المساواة. لا يبلغ الحياة الفاضلة إلا الأتقياء ومن اقتنوا عقلاً مُجِبّاً لله. العقل العادي دنيوي وغير مستقر. إنه ينتج أفكاراً جيدة وسيئة، وهو متغير ويميل نحو الأشياء المادية. لكن العقل المحبّ لله هو جلاّد للشر الذي يأتي على البشر نتيجة إهمالهم المعاند.

Source: ΦΙΛΟΚΑΛΙΑ των Ιερών Νηπτικών - Αρχαγγέλων Τόπος